وما سواها (378)

التخلـــــف والتأخـــــر !!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

مجتمعاتنا متأخرة وليست متخلفة , فالتأخر له علاقة بالمسافة الزمنية , والتخلف يتصل بالوعي والإدراك والقدرة على الإستيعاب والفهم.

فلا يمكن لمجتمعاتنا المحملة بالطاقات الحضارية الكامنة أن تكون متخلفة , وإنما هي تأخرت بسبب آليات التفاعل القاصرة مع زمانها ومكانها , وتجاهل أنظمة حكمها لقيمة الإنسان ودوره الإبداعي المعطاء.

وهذه بعض المحاولات لسبر أغوار التحديات:

أولا: فرية التخلف!!

التخلف تهمة إلتصقت بأمتنا , وهي من إنتاج وتسويق المستشرقين منذ أكثر من قرنين , حتى توهمت الأجيال بأنها متخلفة , ولا يمكنها الخروج من محنتها التي عليها أن تتعفن فيها.

وقد إنطلت الفرية على المفكرين فراحوا يكتبون ويحللون وينظرون وفقا لذلك , وما توصلوا إلى ما هو نافع ومساهم في صناعة الحياة الأفضل.

بينما الواقع يشير إلى أن الأمة في حرب متواصلة لا هوادة فيها , وتقاوم وتواجه وتتحدى وتضحي وتجالد وتكابد وتحقق إنتصارات هنا وهناك وهزائم كذلك , لكن إنتصاراتها تطمر وهزائمها تظهر وتسوَّق على أنها الحالة التي عليها أن تكون وتتكرر.

وبرغم العواصف الدخانية والأعاصير الإعلامية والحملات التسويقية , لإيهام الأجيال بأنهم متخلفون ولا يجوز لهم غير التبعية والخنوع , فالأمة بمجموعها المتفاعل بخير وتمضي إلى الأمام , وتنطلق طاقاتها وتتعبد طرقات مسيرتها نحو أهدافها الإنسانية السامية.

والمشكلة أن الحرب المتواصلة برمجت عقول ونفوس الأجيال على الهزائم والإنكسارات , وحجبت عنهم رؤية الجانب الآخر للأمة , فغاصوا في التشاؤمية والسوداوية وتوارثت الأجيال هذا المنهج القنوطي اليأساوي المرير , حتى أصبحت مكبلة بأغلاله ولا قدرة عندها على التحرر من قبضته , فساد وهمُ العجز والإحباط والشعور بالدونية والتبعية والهوان في بعض المجتمعات.

بينما الصورة واضحة وساطعة , أن العديد من دول الأمة تمكنت من إمتطاء ناصية التفاعل الخلاق , وتواصلت مع عصرها وشيدت صرحها العلمي والثقافي والإقتصادي الوضاء.

وما يجري في واقعها أن أقلامها ومفكريها لا يعرفون سوى النحيب والعويل والندب على السطور , وشعراؤها غارقون في الرثاء وجلد الذات والموضوع والتغني بما لا ينفع.

ولا بد لنخب الأمة أن ترى بعيون الأمل والتفاؤل والإصرار على الكينونة , المتوافقة مع قدراتها الكامنة

مجتمعاتنا متأخرة وليست متخلفة , فالتأخر له علاقة بالمسافة الزمنية , والتخلف يتصل بالوعي والإدراك والقدرة على الإستيعاب والفهم

لا يمكن لمجتمعاتنا المحملة بالطاقات الحضارية الكامنة أن تكون متخلفة , وإنما هي تأخرت بسبب آليات التفاعل القاصرة مع زمانها ومكانها , وتجاهل أنظمة حكمها لقيمة الإنسان ودوره الإبداعي المعطاء

التخلف تهمة إلتصقت بأمتنا , وهي من إنتاج وتسويق المستشرقين منذ أكثر من قرنين , حتى توهمت الأجيال بأنها متخلفة , ولا يمكنها الخروج من محنتها التي عليها أن تتعفن فيها

بينما الواقع يشير إلى أن الأمة في حرب متواصلة لا هوادة فيها , وتقاوم وتواجه وتتحدى وتضحي وتجالد وتكابد وتحقق إنتصارات هنا وهناك وهزائم كذلك , لكن إنتصاراتها تطمر وهزائمها تظهر وتسوَّق على أنها الحالة التي عليها أن تكون وتتكرر

وطاقاتها الفياضة , وعليهم أن يبتعدوا عن الكتابة بمداد الهوان.

فهل لنا أن نتمسك بأكتاف نكون؟!!

ثانيا: الإسلام ثورة مطلقة فكيف يكون سببا للتخلف؟!!

أحد الأخوة واجهني هذا الصباح برسالة مفادها ... "الإسلام سبب تخلفنا" , مما دفعني للتعليق عليها بهذه الكلمات!!

القول بأن الإسلام سبب تخلفنا من المنطلقات التي تم بثها منذ بداية القرن التاسع عشر للنيل من وجودنا , لأن القوة الحضارية التي أوجدها الإسلام تضاهيها قوة في التأريخ , و تزال الطاقة الحضارية كامنة في بلداننا , ويجتهد الأعداء لإخمادها وتبديدها والنيل من مسارها الذي عليه أن يشرق وينير.

الإسلام إرادة تقدم ورقاء وإيمان بوحدة الوجود الكوني , وإنتماء واضح وصريح للإنسانية بمعانيها النبيلة السامية.

الإسلام روح أمة وفيض رحمة , وتفاعل إبداعي معرفي يستند على التعقل والتفكر والتدبر والتبصر , وهو النور الذي يسعى للتواشج مع الأنوار.

فالقائلون بأن الإسلام سبب تخلف الأمة يسعون إلى تدميرها , ومحاربته بالتقليل من أهميته ومحق آثاره ودوره في صناعة الكينونة البشرية , التي وصلت إلى ما هي عليه من التقدم والرقاء.

فالإسلام عندما كان نورا مشرقا في الأرض إنطلقت فيه ومنه الإبتكارات والإختراعات والرؤى والنظريات العلمية , التي حرّكت العقل وفعلته وأخرجته من الظلمات وألقته في محيطات أنوارها المعرفية المتوهجة , فكانت أوربا التي رزخت في عصورها المظلمة لقرون , ولو الأنوار الأندلسية الثاقبة لما تزحزحت من قيعان ويلاتها.

والحقيقة التي يتغافلها أعداء الإسلام أنهم لن يتمكنوا من إطفاء نوره , ولن تنجح جهودهم مهما تعاظمت وتفانت وإستحضرت قدراتها التكنولوجية والعلمية , للقضاء على روحه وإيقاف نبض قلبه المتناغم مع إرادة الحياة.

الإسلام رسالة خالدة في أعماق الإنسانية , وضوء ساطع سيمتد وسينتشر , وينير ظلمات النفوس والرؤوس , ولسوف يسود ويقود بجوهر ما فيه من طاقات الإدراك , وسلاف المعاني السلوكية اللازمة لديمومة الحياة فوق التراب.

فكن أيها المسلم فخورا بالإسلام , و تتوهم أنه قوة شدّ إلى الوراء فهو طاقة توثب وإقدام!!

ثالثا: عاهة التأخر!!

عندما يُطرح أي سؤال عن التأخر , يكون الجواب واحدا , وبمقاربات خامدة وعقيمة , لم يتحرر من قبضتها المفكرون والفلاسفة والمثقفون.

و زلنا نقرن التأخر بأحداث مضى عليها قرون , وكأن المجتمعات ا خرى لم تحصل فيها أحداث أبشع وأقسى من التي عندنا.

فعدم التقدم المتوافق مع إرادة العصر , ناجم عن أسباب نفسية ومشاعر سلبية , تفاعلت في الواقع الذي لم تتوفر فيه قيادات إيجابية ذات قدرات معرفية , ووعي تأريخي , وفهم لطبيعة الإنسان وجوهر ما فيه.

وتفاقمت الحالة بعد الحرب العالمية الأولى , عندما أدركت الدول المنتصرة فيها , أن عليها أن تنيخ الشعوب وتستعبدها بآليات مباشرة وغير مباشرة , أو إستعمار ناعم , وآخر خشن , وتقلص الإستعمار الخشن مع الأيام لكلفته الباهضة , وتنامى الإستعمار الناعم لربحيته العالية , وبموجبه يُزرع في الهدف

المشكلة أن الحرب المتواصلة برمجت عقول ونفوس الأجيال على الغرائز والإنكسارات , وحجبت عنهم رؤية الجانب الآخر للأمة , فغاصوا في التشاؤمية والسوداوية وتوارثت الأجيال هذا المنهج القنوطي اليأساوي المرير

لا بد لنخبة الأمة أن ترى بعيون الأمل والتفاؤل والإصرار على الكينونة , المتوافقة مع قدراتها الكامنة وطاقاتها الفياضة , وعليهم أن يبتعدوا عن الكتابة بمداد الهوان

أحد الأخوة واجهني هذا الصباح برسالة مفادها ... "الإسلام سبب تخلفنا" , مما دفعني للتعليق عليها بهذه الكلمات!!

القول بأن الإسلام سبب تخلفنا من المنطلقات التي تم بثها منذ بداية القرن التاسع عشر للنيل من وجودنا , لأن القوة الحضارية التي أوجدها الإسلام لا تضاهيها قوة في التأريخ , ولا تزال الطاقة الحضارية كامنة في بلداننا , ويجتهد الأعداء لإخمادها وتبديدها والنيل من مسارها الذي عليه أن يشرق وينير

الإسلام إرادة تقدم ورقاء وإيمان بوحدة الوجود الكوني , وإنتماء واضح وصريح للإنسانية بمعانيها النبيلة السامية

الإسلام روح أمة وفيض رحمة , وتفاعل إبداعي معرفي يستند على التعقل والتفكر والتدبر والتبصر , وهو النور الذي يسعى للتواشج مع الأنوار

أسباب الضعف والإنكسار وفقدان الإرادة , وإقناع الناس بأنهم عالة وعليهم بالتبعية والخضوع لإرادة الطامع فيهم , فتوجهت الأقلام ووسائل الإعلام للترويج لثقافات الإنكسار والإندحار والدونية , وتحقق تسويق العديد من الأشخاص ليكونوا أبواقا للإنهزام والقبول بالأمر الواقع , وإستلطاف البكاء على الأطلال , فتحقق تمجيد الغوابر وتقديم التأريخ بأساليب خيالية وتقديس شخوصه , وإعتبار الماضي مجدا خارقا يمكن الوصول إليه , وتم إخراج رموزه من آدميتهم , وإعتبارهم مخلوقات تتجسد فوق التراب , وكأنها تموت.

وعلى هذا المنوال سارت الأجيال متعثرة بالأجيال , وحتى يومنا المعاصر تجد العديد من الأقلام تكتب ما تبرر به التأخر وتحسبه تحصيل حاصل.

وهكذا بتكرار ما هو سلبي تجاه الأمة والإنسان , وغياب القيادات القادرة على إستنهاض الطاقات وبناء الحاضر والمستقبل , وإشتداد الهجمات الإعلامية بأنواعها؟

فالجيل العربي تم خداعه , والنيل منه , والقسوة عليه , وتدمير وجوده , ومصادرة حقوقه , وتعطيل عقله بآليات السمع والطاعة , حتى صارت الخطايا مقدسة.

رابعا: التأخر خيارنا!!

أبناء الأمة طرحوا على أنفسهم ومنذ إنطلاق الثورة الصناعية في أوربا سؤال مفاده لماذا تقدموا وتأخرنا , ووجدوا الجواب واضحا وصريحا , وهو أن الأوربيين إتخذوا من العلم والمنهج العلمي طريقا للحياة , وتحرروا من قبضة الباليات والحكم بالقهر وتعطيل العقل.

ووقفوا أمام الجواب متحيرين , بعضهم أيد خيار العقل والمنهج العلمي , وأكثرهم مال إلى أن العلم بدعة وضد الدين , وقررت أنظمة الحكم آنذاك أن تتمسك بكراسي الحكم وتفضل السلطة على التقدم وحرية وقيمة الإنسان , فخسروا كل شيئ.

فلو أن العلم ومناهجه كان خيارهم لكانوا من المتقدمين , لكن خيارهم الآخر أودى بوجودهم أجمعين وأوصلهم إلى ما هم عليه اليوم.

وتكرر السؤال على مدى العقود بعد ذلك وتكرر الجواب , وبلغ التحدي ذروته في بداية القرن العشرين , وبرز الذين تنادوا نحو إنقاذ الأمة من دوامة التأخر , والأخذ بها إلى آفاق العصر الجديد , لكنهم جوبهوا بمصدات متنوعة , وعندما تنامى تيار التقدم والإصلاح , إنطلقت الأحزاب التي تمترست في الغابرات والتشريعات السلبية البالية , واندحرت في متواليات سفك الدماء والإنتقام من والحياة.

وقد تجسد ذلك في مصر في مطلع الربع الثاني من القرن العشرين , وتواصلت المحنة التصارعية التدميرية , وفي الربع الأول من القرن الحادي والعشرين بلغت ذروتها وإكتسحت المجتمع.

ووفقا لهذه العاهة السلوكية والفكرية والإدراكية , تم أخذهم إلى مسارات أخرى غير نافعة لوجودهم كأمة , وراحت الدعوات تتنادى والمؤتمرات تقام للبحث في تجديد الخطابات العقائدية , وتحقق إسقاط الأسباب العديدة الأخرى التي ما تم إصلاحها.

ويبدو أن أنظمة الحكم قد وجدت ضالتها في هذه الدعوات , لكي تعلق فشلها وعدم أهليتها على أن السبب في الخطاب الذي يجب أن يتجدد لكي نتقدم , وهذا بهتان مرير , لأن العلة الحقيقية في أنظمة الحكم , التي عجزت عن إحترام قيمة الإنسان وصيانة حقوقه.

فهل للإنسان قيمة في مجتمعاتنا كما هي قيمته في الدول المتقدمة؟

وهل أنظمة الحكم تهتم بتعليم المواطن وتوفير ما يلزمه من مفردات الحياة الحرة الكريمة؟

عندما تتحقق هذه وغيرها الكثير , يحق القول أن العلة في الخطاب الذي عليه أن يتجدد ويعاصر , أما بإنتفاء أسباب العيش الكريم , يكون هذا الطرح نوع من الهذيان والهرب من مواجهة الواقع وعناصره

القائلون بأن الإسلام سبب تخلف الأمة يسعون إلى تدميرها , ومحاربته بالتقليل من أهميته ومحق آثاره ودوره في صناعة الكينونة البشرية , التي وصلت إلى ما هي عليه من التقدم والرقاء

الحقيقة التي يتغافلها أعداء الإسلام أنهم لن يتمكنوا من إطفاء نوره , ولن تنجح جهودهم مهما تعاظمت وتفانت وإستحضرت قدراتها التكنولوجية والعلمية , للقضاء على روحه وإيقاف نبض قلبه المتناغم مع إرادة الحياة

الإسلام رسالة خالدة في أعماق الإنسانية , وضوء ساطع سيمتد وسينتشر , وينير ظلمات النفوس والرؤوس , ولسوف يسود ويقود بجوهر ما فيه من طاقات الإدراك , وسلاف المعاني السلوكية اللازمة لديمومة الحياة فوق التراب

كن أيها المسلم فخورا بالإسلام , ولا تتوهم أنه قوة شدّ إلى الوراء فهو طاقة توثب وإقدام!!

الجيل العربي تم خداعه , والنيل منه , والقسوة عليه , وتدمير وجوده , ومصادرة حقوقه , وتعطيل عقله بآليات السمع والطاعة , حتى صارت الخطايا مقدسة

هل أنظمة الحكم تهتم بتعليم المواطن وتوفير ما يلزمه من مفردات الحياة الحرة الكريمة؟

التقدم نهر والتأخر بركة , والفرق بينهما كالفرق بين البركة والنهر.

التأخر يعني الركود والتأسن والتعفن , وتكاثر المخلوقات

الفاعلة فيه.

فتدبروا الأمر يا أولي الألباب!!

خامسا: بُركة التأخر ونهر التقدم!!

التقدم نهر والتأخر بركة , والفرق بينهما كالفرق بين البركة والنهر.

التأخر يعني الركود والتأسن والتعفن , وتكاثر المخلوقات الضارة بالحياة , والتي تجد أمامها خيارا إ أن تتصارع وتتقاتل وتتعاش على بعضها , لأن البركة ذات مصادر محدودة وثابتة أو متناقصة , والذي يسود فيها أن الموجودات التي تتفاعل فيها تكنز نزعة إنقراضية مستعرة تدفعها لإفناء بعضها ومن ثم تتفني , بعد أن يجف ماء البركة ويظهر قاعها الذي إنطمرت فيه أشلاء ما كان فيها.

فلا جديد في البركة إ التناقص وفحيح الصو ت الفتاكة المدمرة لمفردات الحياة ومناهجها البقائية.

وهذا ما يحصل في المجتمعات المتأخرة , التي تدين بقوانين الإستنقاع والتأسن , وتجهل معاني الجريان والتغيير والتبدل , فكل ما فيها متوقف ومنقطع عن زمانه ومكانه , وينحشر في زوايا حادة تزداد إنغلاقا وإنطباقا على المدحوس فيها.

بينما المجتمعات المتقدمة تخضع لقوانين الجريان , وتترجمها بأقصى ما تستطيعه من التسارع والتجدد والإبتكار والإبداع , فتراها في تواصلات متنوعة , وتفرعات متشعبة لإستيعاب دفق الجريان المتعاظم في أنهار أيامها.

ولهذا فهي نشطة متفائلة متراكضة نحو مستقبلها ومستثمرة في حاضرها , ومبدعة لأدواتها ومنطلقاتها الحضارية المساهمة في بناء صرح الحياة الحرة الكريمة المستوعبة للملايين الوافدة إليها , بسلال أفكارها وأحمال رؤاها وتصوراتها , وما عندها من طاقات الخلق والإختراع.

أي أن المجتمعات المتقدمة تستوعب الحياة وتجددها , والمتأخرة تقاتل الحياة وترفضها , وهذا هو الفارق الجوهري ما بين البركة والنهر , وما بين التأخر والتقدم.

فهل سنعيش في النهر أم سنندثر في البركة؟!!

وفي الختام أمتنا تتقدم , وإن تأخرت فستتقدم , وسوف تزرع وتصنع , وستحقق منطلقاتها وتنجسد طاقاتها الحضارية في ميادين مسيرتها الظافرة الواعدة بالأصيل.

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa378-201124.pdf

****** ****** ******

الضارة بالحياة , والتي لا تجد أمامها خيارا إلا أن تتصارع وتتقاتل وتتعاش على بعضها , لأن البركة ذات مصادر محدودة وثابتة أو متناقصة

بينما المجتمعات المتقدمة تخضع لقوانين الجريان , وتترجمها بأقصى ما تستطيعه من التسارع والتجدد والإبتكار والإبداع , فتراها في تواصلات متنوعة , وتفرعات متشعبة لإستيعاب دفق الجريان المتعاظم في أنهار أيامها

أن المجتمعات المتقدمة تستوعب الحياة وتجددها , والمتأخرة تقاتل الحياة وترفضها , وهذا هو الفارق الجوهري ما بين البركة والنهر , وما بين التأخر والتقدم

في الختام أمتنا تتقدم , وإن تأخرت فستتقدم , وسوف تزرع وتصنع , وستحقق منطلقاتها وتنجسد طاقاتها الحضارية في ميادين مسيرتها الظافرة الواعدة بالأصيل

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2024 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس عشر)

الشبكة تدخل عامها 24 من التأسيس و 22 على الويب

24 عاما من الكدح... 22 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf